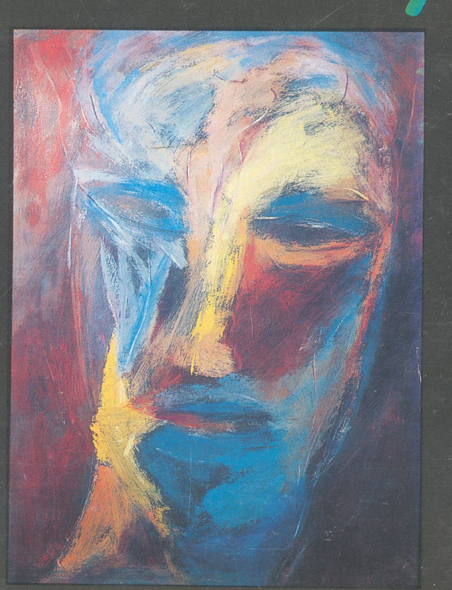
والنهر يلبس الأقنعة

شعر
محمد عفيفي مطر



ديوان

الملتقى

الملتقى للإنتاج الفني والثقافي
ش.م.م



سلسلة شهرية

تصدر عن شركة

الملتقى للإنتاج الفنى والثقافى

ش.م.م.

جمهورية مصر العربية

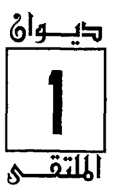
2 شارع طلعت حرب القاهرة

ت : 5757227

إهـــداء 2005

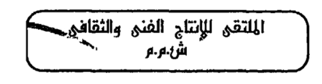
الكاتب الإعلامي/ فاروق خورشيد

القاهرة



محمد عفيفي مطر

والنهر يلبس الأقنعة

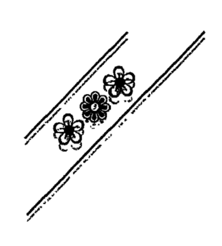


الطبعة الأولى
في جمهورية مصر العربية

الملتقى للإنتاج الفني والثقافي
ش.م.م
يناير 1994

تصميم الغلاف
الفنان : منير الشعراني
لوحة الغلاف
الفنان : وجيه وهبه

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١



سهرة الأشباح

«محاكمات وانتظارات»

1970 / 7 / 18

❶

تخرج من دفاترِ الأعمالِ والأقوالْ

أشباحُها المرْصُودَةْ

ترفع لي رؤوسَها المجوَّفَةْ

أمارسُ الدفاعَ والموتَ، تمارسُ الأشياءْ

طقوسَها الليْليَّةَ المكثَّفَةْ:

كلُّ جدارٍ معبرٌ، كلُّ زوايا الأرْصفَةْ

أقدامُ شرطيٍّ يسيرُ سَيْرَهُ المنْتظما

دخينتي تصبح في أصابعي المرتجفَةْ

جرْحاً ومُدْيَةً وقلماً ونارُها دما

دخانُها يصبح خيمةً معْقودَةْ

يصطفُّ فيها البشرُ المدجَّجُونَ بالعيونْ ...

2

وقفتُ بينَ النِّطْعِ والسيافْ

مُسْتَجْمِعاً مُلكتي الخفيَّةْ

وارتعشتْ في جسدي مواسمُ القطافْ

وانفجرتْ خليَّةً خليَّةْ

تحجَّرَتْ وارْتَعَدَتْ مفاصلي من خوفِ أنْ أخافْ :.

3

أرى عيونَ الشرطة السرِّيَّةْ

تلمعُ من وجهٍ إلى وجهٍ ؛

تتشكّبُ الوجوهُ في الشوارعِ الخلفيَّةْ

كُلُّ قفاً وراءَهُ عينان تخرقان ظلمةَ النخاعِ ؛

تسألانِ عن هواجسِ الهُويَّةْ

وإرثِنا المكتومِ بين الشفةِ الخرساءِ والشغافْ

وعن حوارِنا الضائع بين البحرِ والضفافْ

وعن توقُّع الزواج بين الحمأ المسنونِ والشرارة الكونيَّةْ..

أرى عيون الشرطة السرية

أصبحُ شرطياً أكابدُ القمعَ لما يَنْبُتُ في الأعماقْ

من صرخات الشعر والقصائد المشْويَّة

ومن طقوس الدمع والعناقْ

ورقصةِ التَّداخُلِ الحميمِ بين جسدي

وجسدِ البكارةِ الليْليَّةْ ..

4

كان دفءُ المخدع الرَّطْبِ رباطاً حول قلبي

كلما فكرتُ في السير المنوَّمْ

شدَّني خوفُ هبوبِ العاصفةْ

كلما فكرتُ في الأرض التي أَسْكَتَها الليلُ الطويلْ

وانقسامي كلما أبصرْتُ في الأعين تاريخَ الجراحِ الرّاعفَةْ

شَدَّني وجهُكِ ياطفلةَ روحي الواجفةْ

شدني ـ في فمكِ الضاحكِ ـ طعمُ الأرغفَةْ ..

5

حوائطُ الحواجزِ الوهميَّةْ
تحْجُبُ إيقاعَ الصدى الذي يجيءْ
مِنْ صرخةِ القتلى وقعقعاتِ العُدَّةِ الحربيَّةْ
وشهقةِ البيوتِ حينما تُخْلَعُ مِنْ جذورِها ؛
وألمِ المغاورِ السفليَّةْ
حينَ يجيئُها المخاضُ كلَّ ليلةٍ : :
نَظَلُّ في الدائرةِ الشرعيَّةْ.
(أفتح الآن زجاجَ النافذةْ
عَلَّني ألْبَسُ من لحم الظلامْ
جسداً يستُرُ منفايَ المقامْ
بين جِذْرِ الأرضِ والزهرةِ في فَرعِ الغَمامْ.

أفتحُ الآن زجاجَ النافذة
علّمني أسمعُ ميراثَ الحقولْ
وتواشيحَ الدخولْ
ومراسيمَ انْفِتاحِ الشيءِ للشيءِ ::
وأسرارَ الفِطامْ :

أفتحُ الآن زجاج النافذة
علّمني أُطْلِقُ عصفورَ الهواجسْ
علّمني أتركُ وجهي صرخَةً في
عذَباتِ النخلِ أوْ وشْماً على حائطِ مَبْكى
أوْدَماً مشْتعلاً فوق وسادةْ
أوْ سياجاً مُشْرَعاً من زَهَراتِ الشوكِ
في وجه الرياح المسْتَعادَةْ

حصارُنا يبدأ لو تَفَتَّحَتْ نافذةٌ ليلية

تحت خطى البرقِ .. فتدخُلُ الأشباحْ :

أربعةُ أشباحِ في صوتٍ واحد :

«أتَيْنا من سماءِ السِّحْرِ والتَّعْزيمِ والتَّنْزيلْ

نُبَشِّرُ بالحقيقة في زمان القَحْطِ والتَّضْليلْ

نبشِّر في زمان الحقِّ بالتَّهْديم والتعطيلْ

ونرفَعُ في المحافلِ شارةً وعلامةً

لقُدومِ «ظَلْمائيلْ».

ظلمائيل .. صورة وصفية :

لظلمائيلَ عينانِ

مُرَمَّدَتانِ بالشمسِ القديمةِ والسَّديمِ الأوَّلِ

المحْمولِ في نَقَّالةِ الخلْقِ

مُفَتَّحتَانِ في الأرض التي لَمْ تَخْتَمِرْ طَمياً

ولَمْ تَخضَرَّ صَحْراءَ!

وتائهتان تحت مَجَرَّةِ الفوْضى

ومُعْتمتَان تركضُ فيهما نارُ الدُّهورِ

وتمطرُ السحبُ القديمةُ ظلمةً ورؤىً وأضْواءَ!

له شفَتان من شجرِ اللغاتِ ومن جُذورِ الشّعرِ والصمتِ

له قلبٌ تفجِّرُهُ خيولُ الحبِّ والمقْتِ

فَيَنْقُضُ في ترائِبِهِ دماً مُستَقْطَراً من
غيمةِ التعزيم والكيمياءْ
به ماءُ العناصرِ، فيه سرُّ المزْجِ والخَلْطِ
وفيه المعجمُ الأبديُّ للأسماءْ:
له نعلانِ من طينِ الشَّرائعِ والوصايا المطفآتِ،
وشَعْرُهُ الأسْوَدْ
كُرُومٌ عَلْعَلتْ أصْلابَها في رأسهِ المغْطاءْ
لتشربَ من عطاياهُ
وتحملَ من عناقيدِ التذكُّرِ كلَّ ماسيجيءُ من أحياءْ
وفي رِئَتَيْهِ روحُ الماءْ
وأشجارِ التناسلِ والدمُ الدوَّارُ في دوامةِ الأبناءْ:

شبح :

كانَ يمشي مسرعاً، كانَ يطيرْ
خالعاً وجهاً نباتيّاً، ومملوءَ الخلايا
بتواريخ اللقاحْ
عابراً خَضْخَضَةَ الموجِ :: له ألفُ ذراعْ
تقطفُ الجنْسَ المشاعْ
في كهوفِ الليلِ والقُسْقُورِ، يعلو ويطيرْ
في انفجارِ البيضِ عن أفْراخِهِ،
يدخُلُ في عُرْسِ القبيلةْ
شَبَقاً أو لغةً بكراً ورؤيا مستحيلةْ
تصبُحِ الأرضُ له أمّاً وزوجاً، ويُشيرْ

شارةَ الدهشةِ .. تمتدُّ الفروعْ.

يرقصُ الآن أمامي

خالعاً وجهَ البدايات القديمةْ

صارخاً كيْ تصبح الأرضُ له أمّاً

وزوجاً

وقبيلةْ ..

شـبح :

دَقَّ في الليل زجاجَ النافذهْ

وتَدَلَّى رأسُه من قُفْلِها .. ثم تَجَسَّدْ

قالَ : «فَلْتُلْقِ على كفَّيَّ ما تحملُ من إرْثِ الشكاوَى

فأنا أصعدُ من جوعك للخبز الخرافيِّ

وللشمسِ التي تطلعُ من

آنيةِ الحِبْرِ العتيقْ

وأنا أصعدُ من ليل السجونْ

وانتظاراتِكَ للخيل وفرسانِ المطرْ

وأنا أصعدُ من صَهْدِ السَّفَرْ

وبكاءِ الريح في بابِ المواني الموصَدَةْ ..»

مدَّ كفَّيْهِ إلى جُمَّيزةِ الحزنِ القديمْ

في دمي، هَزَّ الفروعْ

فارتمتْ منها وُرَيْقاتُ الدموعْ

وانتظَرتُ الفرحَ الطالعَ من نسغ الأغاني المعتمةْ

قال : «هَبْني صوتَكَ الدافىء كيْ أنعسَ فيه

وأَرِحْني من شِقاقِ الكلماتْ

كلُّ آتٍ سيجيءْ ..»

كانت القافيةُ الصعبةُ والليلُ البطيءْ

مِقْوَداً حول عظامِ القدميْن

وأنا أحملُ في ثلج اليديْن

تاجَهُ حتى ينامْ

رُمْحَهُ حتى ينامْ

وانتظارَ الشمسِ من عامٍ لعامْ.

شبح :

كانت الليلةُ سُوراً، والمدينةْ

حائطاً ينتظرُ الباكين في جوْف الشقوقْ

وسراجاً معْتِمَ الضوءِ يغطي الكائناتْ

باسْتِدارات السطوحِ الفارغةْ

ومراسيم الثبَاتْ.

وأنا أغْلي انقساماً فوق أسْفارِ الدم الحيّ

وأسفارِ المماتْ.

أقبلَ الموتُ الذي كان صديقي

في رؤى الرعْبِ القديمْ

وانتظارِ الزمن الطالع كالزهرةِ من فوْضى السَّديمْ

أقبل الموتُ بوَجْهٍ وقناعْ
ضَمَّني وهو يغنّي بالوداعْ
لزمان اليأسِ بالأندلسِ:

(جادكَ الرعبُ إذا البرقُ رمى
رُمحَهُ بين الضحى والغَلَسِ
فأحالَ الصمتَ ناراً ودَما.

آه ياليلاً زجاجيًّ العيونْ
أطْفِىء الآن عيونَ الحَرسِ
عَلّني أهربُ في نَعْشِ الجنونْ
هَرَبَ الطينِ بجذْرِ النَّرْجِسِ

أوْ أرى الشِّعْرَ الخرافيَّ الظنونْ
جالَ في النفْسِ مَجَالَ النَّفَسِ

سدَّدَ السَّهْمَ فَأصْمى إذْ رَمى
طائرَ الخوفِ وعصرْ العَسَسِ
وأحالَ البرقُ أطلالَ الحِمى
بِنْرَ نارٍ في هشيمِ اليَبَسِ.)

وأنا أَغْلي وأَغْلي .. أتبخَّرْ
تصبح الظلمةُ أقدامي وعنفُ الريحِ في
البحرِ خُطايا
آخذُ النار التي خَبَّأها البرْقُ بأوْتادِ الخلايا.

تصبح النارُ عطايا
تحرثُ الأرضَ فَتَنْشَقُّ البكارةْ
عن تواريخِ الزِّنا، تَنْقَلِبُ الأسْطُحُ،
يَهْوِي كلُّ ما قامَ،
وفي قلبِ الحطامْ
كنتُ مَدْفُوناً أرى دائرةَ الأُفْقِ تضيقْ
وغبارَ الهدْمِ يَصَّاعَدُ، والشمسَ بقايا
من دمٍ يُعْقَدُ في بطْنِ السديمْ ..

6

هذه الأرضُ الخَلاءْ

بعد أن قَاءَتْ بنيها أَخْرجَتْ أحشاءَها

وانتظرتْ أغْربَةَ الليلِ : وباءً فمجاعةْ

وانْدحاراً تحت خيلِ الغزْوِ أوْ خَيْلِ الحَرَسْ

وانكساراً صامداً تحت لثام اللَّغْوِ أو صمتِ الفجيعةْ

(هذه جوهرةُ الخضرةِ تغْلي

تحت عَيْنَيَّ وتعلوها المياهْ

كلُّ شيءٍ زَبَدٌ يطفُو ورعدٌ ودُخانْ

وسماءٌ تَتَخلّقْ

وإطارُ الفَلَك الدائرِ يدنو ويضيقْ

وأنا ـ كائنُ أيامِ الحريقْ ـ
طينةٌ في بيضةِ الأرض وإيقاعٌ عميقْ
يَتَخفَّى صوتُه في أبْجَدِّيات الحريقْ.)

فاطلَعِ الآن .. ففي كلٍّ رمادٍ وسقوطْ
أسمعُ الطينةَ تغلي بنَشيشِ الإخْتِمارْ
وأرى كلَّ تواريخ القنوطْ
غابةً تبدأ منها الصرخاتُ الحجريَّةْ
وأساطيرُ العصورِ الذهبيَّةْ
وأرى شيخوخةَ الدهر البطيءْ
برعُماً تصعدُ منه الشَّجَرَةْ.

(عرفَ الأسماءَ من قبل المسَمَّى

عرف الفعلَ عبوراً من نقيض لنقيضْ

لبسَ الصمتَ البدائيَّ قناعاً وانتظرْ

رِعْشَةَ الدهشةِ والصوتَ الحِواريَّ الخفيضْ .)

فاشربِ الآن عصيرَ الثَّمَرَة

وابْدأ العُرْيَ البريءْ

طأطىءِ الرأسَ .. فقدْ أثْقَلكَ التاجُ المليءْ

ببقايا الشُّهُبِ الأولى وأفلاكِ المطرْ

وتواريخ الرؤى المنْدَثِرَةْ

وحوارِ القَبْضَةِ البِكْرِ وإزْميلِ الحَجَرْ

وتَقَدَّمْ بالشّعارِ الْملتهبْ
تاركاً في صخْرةِ الأرض الخَلاَءْ
من خُطى الثورةِ والخلقِ علامةْ
للقيامَةْ ..

18 / 7 / 1970

وشم النهر على خرائط الجسد

«الوشم الأول»

[وطنُ السرِّ الذي يطلعُ مني

خُطْوتي تاريخُهُ

رأسي فَضَا أنْجمهِ

لحمي علاماتُ التخومْ

و .. أمدُّ الجسرَ حتى يقتلوني.]

❶

ظَلَّلتْني من جناحيْها سحابةْ

وَصَلَتْني بالدَّمِ الهاربِ من شقٍّ لشقٍّ،

وَضَعَتْني في الرَّبابَةْ

وَتَراً ممتلىءَ الصوتِ بكنْزِ الصرَّخاتْ

فَتَحتْ قلبي فأطْلَقْتُ حمامَةْ

لَبِسَتْ من زَغَبِ الصوتِ تواريخَ الظَّمأ

وتواشيحَ الكآبةْ

وأنا أنتظرُ الناقَةَ من فَتْقِ السماءْ

عَلَّها تُلقي عن الرَّحْلِ كتاباتِ المطرْ

ومن الضِّرْعِ حكاياتِ السيولْ

(ما الذي تَخْتَمِرُ الأرضُ بهِ !!

مالي أراها

فَتَحَتْ من ظمأ الشَّهوةِ أرْحامَ النُّجوعْ

وميادينَ المدينةْ

وانْفِراجاتِ الشقوق المسْتَكينَةْ

بين طَمْي العالمِ الرّخْوِ وأجسادِ البَشَرْ !!)

طائرُ الصَّرْخَةِ - إذْ نَقَّرَ مِنْديلَ السَّحابَةْ -

شَقَّهُ البرقُ فألقى دَمَهُ ورْداً على كلِّ رداءْ

أحْرَقَتْني وردةُ البرقِ وَعَرَّتْني أمامَ الغرباءْ

(وأنا فزّاعةُ الطيرِ بأرضِ الفقراءْ
كنتُ في قلب العراءْ
مُسْتَحِماً بعراك الطيرِ في الريحِ،
ومَحْشُوّاً بأوراق التقاويمِ وأسْلابِ السَّفَرْ .)

كنتُ في الأرض الغريبةْ
أحْرُثُ القلبَ لأيام العناقيدِ الحُبالى
كلُّ أحلامي كرومٌ، طُرُقي قِنّينَةُ السُّكْرِ الخُرافيِّ،
وفي بحر الجسدْ
سمكُ القِرْشِ وصوتُ السفن المشْتعلةْ
واغْتِلامُ الليلِ والريحِ وقرصانُ الحوار المنْفَرِدْ
والتَّشَهّي للرَّدى الراقصِ في بَرْقِ المرايَا

من شَظَايا الكأسِ إذْ يِسقُطُ ما بيني وبين الكائناتْ
قلتُ :فَلأَبْدَأْ زماني

(جئتُ محمولاً على نَقّالةِ الرَّعْدةِ والخوفِ
وفي فوضى الجسدْ
كان خبزُ النَّفْي يَغْلي،
كانت الصرخَةُ رِجْلي ومكاني.)

فَتَمَشَّيْتُ على النهرِ ..
أرى فوق مرايا سطْحِهِ الرّاكدِ وجهي
رَغْوَةً من عُشُبِ الشَّطِّ، خليطاً من خيوطِ الشجرِ
الذابلِ والموتى وأطلالِ البيوتْ
وخطوطاً من ملايين الوجوهِ السّاغبَةْ.

(وأنا فزّاعةُ الطيرِ بأرض الفقراءْ
كنتُ في قلب العراءْ
واقفاً ، يَسْتَألِفُ الطيرُ ذراعي ـ الخَشَبَةْ
وكُراتِ القشِّ في رأسي الغريبِ المسْتَبَاحْ.)

وأرى في الشاطىءِ الثاني جنودَ الملكِ القاسي
يَدُقّونَ الرِّماحْ
بيننا نهرٌ من الماء ونهرٌ من مساحات الوجوهْ
بيننا أرضُ أُمُومَةْ
وفِطَامٍ ، بيننا أرضُ الأذِلاءِ المهانينَ،
وأيامُ العروشْ
ومماليكُ الدمِ الواحِدِ، والخبزُ النحاسيُّ،
وتاريخُ السجونْ .

وأنا ـ آه من الكُرْهِ ـ أمدُّ الجسْرَ حتى يقتلوني
أجْعَلُ النهرَ دماً يلْفُظ أسماكَ الجرائمْ
أرفعُ القُمَّلَ والسّوسَ غمائمْ
وأُوَلّيَّ وأهاجِمْ
وأمدُّ الجسرَ حتى يقتلوني
عَلّني أغسلُ وجهي،
علّني أبدأُ في نهر دمي عُنْفَ السِّباحَةْ.

(وأنا فزاعة الطير بقمح الفقراء
أغرس القامةَ في طين المجاعةْ
قدمي ساخَتْ .. فَيَلْتَفُّ بها الطحْلُبُ والُعشبُ،
وفي جُمْجُمَتِي عَشَّشَتِ الغِرْبانُ،

في مملكة القشِّ وأوراقِ التَّقاويمِ ـ الجَسدْ
وطنٌ تسكنهُ الريحُ وأطيارُ العراء
وأنا فزّاعة الطير بأرض الفقراء ..)

علّني آخذُ رأسي بعد أن يَضْرِبَهُ السيفُ وأمضي
خارجاً من ملكوت الخوف، من أرض مماليكِ
الدمِ الواحدِ) أطوي في خلاياهُ بساطَ الأرضِ،
أبْني وأُقيمْ
وَطَناً، أنشرُ من كَنْزِ النقوشِ الدمويَّةْ
أطْرُدُ العالمَ، أمحو زمنَ الصوتِ، وأمحو
طينةَ الموتِ وشوْكَ الأبجديَّةْ
أنْشِىءُ القلعةَ بين الشفتيْن

أشْحَذُ الرمحَ على تقطيبةِ الجبهْةِ، أرمي ظَبْيَةَ
الشهوةِ والذِّكْري وأرمي بُومةَ الرؤْيةِ،
أنْشَقُّ على الرأس عدوّاً وصديقاً
أحفرُ الغابةَ في الشَّعْرِ خِباءً وطريقا
أرسلُ الرأس إلى كلِّ الجهاتْ
طائراً يرقصُ في بَوْتَقَةِ النارِ العميقةْ
قمراً في نهر أعماقي، وصَقْراً في سماواتِ الجسدْ،
مَطْلَعاً للشمس، شُبَّاكاً علي بَدْءِ الخليقةْ
في انْفتاقِ الأرضِ والماءِ وظلماءِ الجَمَدْ ..

❷

كنتُ وحدي .. أشربُ الظلمةَ والطَّلَّ وأغْفو

في خلايا قامتي المنْغَرِسَةْ

تاركاً وَجْهِيَ ينحلُّ وأعضائي تَذوبْ

في اختلاطِ الحُلْمِ

(في بوتَقَةِ الدهشةِ عند العَتَبَةْ

أدخل البابَ .. أرى شهوةَ أيامي خيولاً

وأرى الأشياءَ في لون العيون الشرسَةْ

وأرى ـ قبل ابْتداءِ الأرضِ ـ غَيْماً مُثْقَلاً

تحت سماءٍ مُشْمِسَةْ

وأرى الساحةَ منْديلَ دمٍ مشتعلٍ

يطفوُ ويطفوُ في كتابات الغرقْ

وانتظارِ السنةِ الكبري لكْي تبدأ في

رقصتها المزْدَوَجَةْ.)

وأنا أسمعْ صوتَ الغَلَيانْ

(في دمي أمْ في دم الأرضِ ؟) وأمشي في الهواجسْ

كلُّ يوم بيضةٌ تفقِسُ في أعْشاشِ أحزاني مدينةْ

كلُّ ظلٍّ عابرٍ يُنْبِتُ في وهمي كُوَىً للحسِّ والرؤيا ،

وأصواتي السجينةْ

وردةٌ داميةٌ تَفْتَضُّها شمسُ المخاضاتِ الدفينةْ

وأنا أسمعُ في الظلمة صوتَ العابرينْ

فأرى عوْرَةَ أحزاني تَعَرَّتْ

أنْحني، أسقطُ، أرْمي للفضا الأسوْدِ غربانَ الأغاني

وعصافيرَ البكاءْ ..

كان سِرْبُ الطيرِ يَسَّاقَطُ في فَسقيَّةِ العالمِ

صيفاً وشتاءْ

كان يقْتاتُ خبايا الحركةْ

في جذور الأرض ما بين خريفٍ وربيعْ

كان إرثُ الفقراءْ

خَاتَماً، كان زَفافُ الملكةْ

نَفْخَةَ البوقِ ليمتدَّ سماطُ الأرض بين الأمراء

بعناقيد الشواءْ

وطقوسِ الصمتِ والرقصِ وأيامِ الحِدادْ ..

❸

سُرَّةُ الأرضِ قِصاعُ مُلِئَتْ من دَمِنا حتى الحَوافْ

وعلى بُؤْسِ الضِّفافْ

كانت الوحشةُ شمساً في سماء المدن الصُّغْري،

وكانتْ أعينُ الأجْلافِ ليلاً دامساً،

والموتُ ميعادَ غِراسٍ وقِطافْ

وأنا أهْوي إلى النهر الذي يحفُرُ مجْراهُ الخرافيَّ بلحمي

فاتحاً نبعاً مصبّاً

غارساً نخلاً وزيتوناً وقَضْباً

طارحاً في موسم الزَّهرِ على طَمْيِ الشغافْ

شوكةَ الدهشةِ والصمتِ المفاجىءْ

وتُوَيْجَاتٍ من الهجرةِ في اللون وخبزاً من

لِقاحِ الشِّعْرِ والبحرِ وأعشابِ المرافىءْ

يحفُرُ النهرُ يلحمي وطنَ السرِّ

ويَخْضَرُّ نخيلُ الإغْترابْ

(وطنُ السرّ الذي يطلع مني

خطوتي تاريخهُ، رأسي فَضَا أنجُمهِ،

لحمي علاماتُ التّخوم

وطيورُ البَرِّ إذْ تأكلُ لحمي وتطيرْ

جعلتْ لحمِيَ تاجاً، جَعَلْتني ملكاً تمتدُّ من

تحتي حدودُ المملكةْ

أدْخَلَتْني زَمَنَ النهر المسافرْ

أرْجَعَتْني بعد أن هاجرتُ من مملكتي

قطرةَ ماءٍ ودمٍ، كانَ السريرْ

مُرفَأَ الليلِ وسورَ المملكةْ ..)

وأنا ـ تحت نخيل الإغْترابْ
آخذُ الطين، أسَوِّيه بكَفِّيٌّ خيولاً،
وأُسَوِّي ملكةْ
فأراها أنتَفَضَتْ تَسْعى .. على جبهتها
من دمِ الفكرةِ شمسٌ ومجاعَةْ
وبعينيها من الشهوةِ أطيارُ دمٍ مشْتَبِكَةْ
واسْتغاثاتُ القرونِ الهالكة.
كنتُ في زحمة أعضائي وفي دَهْشَتِيَ المرْتَبِكَةْ
أتملّى وجهها، أَشْهَقُ :
هيا .. كَثّريني وانْشُرِيني
عَدَدَ الذَّرِّ ورملِ الصحراءْ
كَسِّرِيني كرغيفِ الفقراءْ

واحفُري النهرَ على صدريَ وَشْماً دَمَوِيّا
واجْعليهِ ـ بين أبنائي وبيني ـ لقبَ الإِسْمِ
وإِرْثَ البَرَكَةْ
ومراسيمَ التعارُفْ
جَسِّديني سَمَكاً في نهـر أعـمـاقي وصـوتاً في شـفـاه الآخرينْ
واجعلي من طينتي آنيةَ الغُسْلِ وحِنَّاءَ الزِّفَافْ
وانْثُريني تحت أعْتاب البيوتِ الصامتةْ
رُقْيَةً دامِيةً
وانْتظِريني ..

1971 / 6 / 6

مُهْرَةُ الحُلْم

مهرةُ الحلم كانت تُحَمْحِمُ تحت سماءِ البراري
ومن فوق صهْوَتِها أتوحَّدُ بالسَّرْجِ :
ساقايَ هُدَّابَةُ الصُّوف، لِينُ الأصابعِ
خَيْطُ الحريرِ المحيَّرُ في نمنماتِ الفتوحِ القديمةْ
أنا فوق صهْوتها راجعٌ من جراحي البعيدةِ،
والجرحُ نافذةٌ ودمي قمرٌ يَتَوقَّدُ في شَجْرَةِ الأُفْقِ،
كنتُ على سَرْجِها مَيّتاً..أتَوَحّدُ بالسرج شيئاً فشيئاً،
دمي فوق غُرَّتِها وردةٌ في مكاحِلِها جَرَسٌ يتأرْجَحُ مابينَ
صوتي الذي غَزَلَتْهُ الرياحُ بأُصْبُعِها خَاتَماً ثم
وَلَّتْ به في البراري البعيدة
وبين صدى صرختي وهْيَ تطلع في آخر الأرض
جُمَّيْزَةً للعصافيرِ.

وجْهي ـ فُتوقٌ من الطمي ينْهمِرُ الليلُ فيها

وتهوي السماواتُ ..

أحْتَفِنُ الماءَ أملاً يُنْبوعَ جوعي دنانيرَ من

ذهبِ الوحشة المتساقطِ أشرْي بها

كفناً وبلاداً أكون لها ملكاً

وأنا أتوحَّدُ بالسرج شيئاً فشيئاً،

دمي خطوةٌ نحو مملكتي ..

مهرةُ الحلم ترعى وتَخْتَضِمُ العشْبَ،

والعشبُ رائحةٌ من قميص الحبيبةِ ..

أنظرُ حولي :

أرى في تراب الموقِدِ ليلاً من الرحمةِ السابِغَةْ

وأنظرُ نَقْشَ الكلاكِلِ في الرملِ .. هلْ

كان عرساً هوادِجُه رَحَلَتْ أَمْ هو
الشِّعْرُ يبني لعينيَّ مملكةً ثم يهدمُها ؟!

مهرةُ الحلم تخطوً بطيئاً بطيئاً
ويمتدُّ ليلُ البراري
أنا فوق صهوتها ميِّتٌ أتوحَّدُ بالسرج،
تحملُني للبلاد التي انتظرتْ ألفَ عامٍ ..
وكلُّ اقترابٍ مسافةُ هِجْرةْ
وكلُّ رحيلٍ إليها اغترابٌ وكلُّ مشارِفِها تتوغَّل في
جسدِ الليلِ
تحملني مهرةُ الحلم تخطو بطيئاً بطيئاً ..
وأنظرُ وَشْمَ القرُى في ذراع البراري وَقَدْ

رَحَلَ العشبُ، أَقْوَتْ مرابِطُها،
كَتَبَتْ تحت ليل البراري بأظْلاف قُطعانها
ـ وهي ترحلُ ـ مَرْثيَّةً لقدورِ الطعامِ وماءِ
السواقي وخبزِ الأمومةِ
تحملني مهرةُ الحلم .. تحملُ وردةَ جرحي وأجراسَ
لحمي المُفَتَّتِ .. أهليَ بعيدونَ ..
وهْيَ ترى طرقاً للزيارةِ،
تحملني لسريرِ التذكرِ والنومِ في قريةِ الأهلِ ..
أهلي بعيدون،
تحملني مهرةُ الحلم تحت سماء البراري وترعى
وتخْتَضِمُ العشبَ والعشبُ رائحةٌ في قميص الحبيبةْ ..

1973 / 9 / 30

وشم النهر على خرائط الجسد

«الوشم الثاني»

[تعرّى الحيُّ عن جيفته وغَيْلانُ يفتحُ
الساحةَ بدمهِ المتكلِّم والجموعُ لا تسمعُ
ولاترى مراسيمَ قتْلِ الملِكْ.]

بين عينيَّ دمي، فوق جبيني

موعدُ بيني وبين الساحةِ الممتلئةْ

ببطونِ الأمهات

ومحاريثِ العيون المطفأة

(أنتَ في هوة أعماقيَ غابة

طلعتْ ناراً من الصخر، ينابيعَ فَراشٍ مشتعلْ

ونوافيرَ طحالبْ

دَوَّمتْ تحت انفراط الطيف بدءاً

من تواقيع النهاية ..)

وأنا كنتُ بأخلاطِ المشيمةْ

هارباً نحو جذور الشمسِ في لحم الظلامْ.

كانت الساحةُ ملأى بالعظامْ

ربما يأتي البدائيونَ من ليلِ الفروعْ

يحملونَ العالمَ الطالعَ من همهمةِ الخوفِ

وأعراسِ القبيلةْ

(آه يامختبئاً في قشرة العالمِ

يامنكشفاً بين الضلوعْ)

يَقْلِبُون القمرَ الصامتَ أنثى، والسحابةْ

مهرةً تصهل في الأفق فتنْشَقُّ المدائنْ

(أنتَ تأتي .. شبحاً يلبس من ماء المرايا

جسداً، تخطو إلى الساحة مابين الشهودْ

كلما نَقَّلْتَ أقدامَك .. فَرَّتْ في الزوايا

صورةُ العالمِ، وانشقَّ القناعْ

فَتَعَرَّى الحيُّ عن جيفته واخترقتْ ليلَ العيونْ

صرخةُ الموتى على الموتى .. وما كان يذوب

بين عينيّ أراهُ يتجسَّدْ

وهو يمضي هاربا في جسد الليل العظيم ..)

وأنا أبصر ظلي ساقطاً بين العيونْ

يفتح الساحةَ كالشفرةِ، يَنْصَبُّ بأعتاب البيوت

وأنا أرقص فوق الخشبةْ

رقصة الذاكرة الحبلى بعرس الماء والنارِ

وأيام الحوارْ

(حين كان الموتُ يأتي كل عام

في خطى قابلةِ القريةِ يرمي كعكَةُ المرَّ

وإكليلَ الفطامْ

كنتَ في موْعدِ ميلادِكَ تبكي وتغني.

عاقرُ القرية تُعطي بيتَكَ الخائفَ سبعاً من

كُرات الخبزِ ..

في كل رغيفْ / طبقاتُ الأرضِ

كي يمنحهَا قطعةَ ثوبٍ وجديلةْ

يبدأ الحمَلُ الطقوسيُّ المخيفْ

بعبيرِ الجسد الظامىء إذْ تدخُلُ من طوقِ القميصْ

ساقطاً فوق الزوايا والنتوءات إلى الأرض

فيلْقاكَ فراغُ القدمين

سبْعَ مراتٍ .. وفي كل عبورْ

كرةُ الأفق ارتمتْ بين يديك

يومها كان الردى يرتدُّ عنك

تاركاً زهرتَه الخضراءَ وشماً بارزاً في ساعديك.)

وأغني بأكاليل الدمِ النازفِ : آهْ

من تُرى يَعْذُرُني ممن رأوْني جائعاً

واكتنزوا / طُرَفَ العالمِ ، أنسابَ الإمامةْ

فانظروا يافقراء الأرضِ ..

هذا دمُكُمْ

في سروج الخيل أجراسٌ وفي شال العمامةْ

مدنٌ يَمْسخُها النقشُ رسوماً شجريَّةَ

وانظروا يافقراء الأرضِ ..

هذا لحمكم

حينما يُنْضِجُهُ الرعبُ الخرافيُّ يجيءُ الأمويُّونَ

ويأتَي الفقهاءْ

في لغات العصرِ .. تمتدُّ المسافةْ

بين كفي ولساني،

نطفةُ العالم تَنْصَبُّ سيوفاً، والمسافةْ

بين رأسي وفروع الشمس تمتدُّ حبالاً.

كرةُ الأفق تضيقْ

وتلفُّ الريحُ أنشوطتَها، تنسجُ حول الرقبةْ

عُقْدةَ الصرخةِ.

ظلي كان في الساحة يبكي ويغني للقيامة:

انظروا .. في جسدي فرحةٌ ينبوعٍ مفاجىءْ.

(كان جرحي غربةً مكتوبةً فوق جبيني

علّمني رقصةَ الموتِ الرشيقْ

يومها .. حطَّ على صدريَ صقرٌ معدنيٌّ من

لغات الأرض من أجناسها

يَنْقُرْ القلبَ .. تَعَرَّفْتُ بعينيهِ على موتي الصديق

حُجةَ الله على صمت الملايين المدانة

يومها .. كان كتاب الذاكرة

برعمَ النار رمادَ الحطبةْ

قطعوا رأسي .. فأبصرتُ به يهرب مخْبوءاً

بأسرار الكهانة

فابحثي عن جسدي الضائع في أزمنة الهدم،

خذيني لك طفلاً يقطع الغربةَ شعراً وبكاء

وخذيني لك زوجا وإماما ..)

انظروا .. في جسدي فرحةُ ينبوعٍ مفاجىءْ

انظروا .. في جسدى تختبىءُ الأرض وتصحو

كلما طَوَّحَني العالمُ في دائرة الموت الرشيقْ.

(أنتَ في هُوَّةِ أعماقيَ غابة

طلعتْ نارا من الصخر، ينابيعَ فراشٍ مشتعل

ونوافيرَ طحالب

دَوَّمَتْ تحت انْفراطِ الطيف ..

ثم انتظرتْ

جسداً يمنحها مملكةَ الأفق العميق ..)

1971 / 9 /30

أكتبُ نافذةً على مملكة الموت الآخر

هو الماءُ :

جرحُ الينابيع، بوابةٌ تترجَّلُ منها

فلولُ الغمام إلي ساحة النهرِ،

والماءُ مخطوطةٌ تترجّلُ منها وجوهُ القبيلةِ

نسلاً فنسلاً، وعيناي في شاطئيهِ الوسيعينِ

صوتُ المحاريثِ، صوتي انْفتاقُ القشور عن الحَبِّ،

صوتي انْفلاقُ النَّوى وامتلاءُ العناقيد .

والماءُ نافذةُ الحلم :

هذا هو الماءُ يطلع من عطش الحلم مملكةً

للفضاء المقَبَّبِ .

ينتظم الشمسَ في غليان الخليقةِ والقمرَ المتأرجحَ

(في جسدي مطْلعُ الشمس من جسدي يتقوَّسُ

خَطٌّ الفراغِ ويبزغ وجه القمرْ.)

وشعبٌ من الماء يَمْرُجُ تحت رمال البدواة ـ

أصرخ فيه لعل نوافيره تتشقَّقُ عن غابةِ

الفقراء وأرجوحةِ العنف *(يملؤها*

القمحُ تلمع فيها المناجلُ)

أبكي له في غواشي الرؤى،

جسدي يتوهج بالشمس خلف نوافذهِ الموصدةْ

أغني وأكتب أقمارَ عشبٍ مجنحةً وشموساً معلقةً

بالشبابيك، أكتب إكليلَ فاكهةٍ وأضفِّرهُ في

زواج المواويل والماءِ والطمي،

أكتبُ فجرَ المواني وقُبَّرةَ الموج والسفنَ العائدة

وأكتبُ شالَ الصبايا الملونَ أكتبُ أجسادَهن

المليئةَ بالرعدة الموقدةْ

وأكتبُ أغنيةَ الريشِ والقشّ أكتبُ تاجَ

العصافيرِ للرحمِ الواعدةْ

وأكتبُ جوعي على واجهات المتاجرِ، أكتبُهُ في

الرياحِ الثقيلةِ بالغيمِ، أكتبُهُ في احتلام

التلاميذِ وقتَ البلوغِ، وأكتبُهُ في سروجِ الخيول

ووشمِ الرصاصِ على قبةِ الجامعةْ

وأكتبُ جوعي مظاهرةً تستحمُّ بدمع الشوارعِ تكبرُ

تحت الهراوات تدخل أروقة السرّ

تحلم بالثورةِ الغامضةْ

يحاصرني الليلُ ..

ألبَسُه، أكتبُ الليلَ جنّيَّةً تتمدد في

فرشةِ الأفق دافئةَ الفخذين وناضجةً.

الثمرالمتفجِّرِ بالعشق، أرقد بين يديها
وأسكنها وطنا أتكشَّفُهُ

(وجُهك الحلو يا أول الحلم ياآخر الحلم تفاحةٌ
نضجتْ وتقاسمها صداُ السيف والرعبُ،
وجهكِ يا أول الحلم يا آخر الحلم خيمة.)

وتحت الضفائر كانت خطى قمر الجرح تدنو،
يفتِّق جلبابه الدمويَّ وينسج من جرحه
عنكبوتُ الفضاء مناديلَ حمراءَ.

هذي هي الأرض تنشقُّ طينتُها والفضا مطرٌ أحمرٌ،
وجهكِ الحلو يا أول الحلم يا آخر الحلم مغتسلٌ
والدما تَتَفجَّرُ أمطارُها شجراً شجراً ..
وجهكِ الطفلُ غابة

تُسَيِّجُها صرخةُ الموت

أكتب جوعي رغيفا ورمحاً وشمساً أُخَبِّئُها

في قميصي وأدخل ..

هذا هو الشجر المَعْدِنيُّ يمدُّ فروعَ

الشظايا مسنَّنَةً ويمدُّ عناقيدهُ القُنْفُذِيَّةَ،

ينتصب العشبُ كالشَّفَرات الصدِئةِ

(أدخل أمْ تدخل الغابةُ المعدنيةُ في جسدي ؟!)

وأواجه وحشَ الكلام المدجَّجَ، وحشَ

السكوت الخرافي .. أبصر موتي المضيءَ

يلوِّحُ لي ضاحكا في مرايا العناقيد والعشب،

يقطف لي زهر خشخاشه ويقاسمني النومَ والحلمَ

(هل أنتِ واقفةٌ في الشبابيك تنتظرين بريدي الذي

لن يجيء؟!)

1973 / 12 /22

وشم النهر على خرائط الجسد

«الوشم الثالث»

[إلي غيلان الدمشقي

وهو يجدد شهادته على مفترق الطرق

بين النوم الألفيّ والثورة المغدورةِ

والموتِ الملغوم]

❶

هى الشمسُ ..

هل كانت الأرضُ رمَّانةً تتخلَّق فيها أجنتُها الخضرُ،

هل كان مافي عروقي غمامة

تفتقها الريحُ، تَجْدِلُها موسماً يتفتح في سُرَّة الأرض،

تنسجها حمرةً تتكثف

تنسجها رَحِمًا ومشيمة؟!

هل الأرض رمانةٌ جسدي جذرُها الشبكيُّ،

هل الشمس كانت رصاصا يُثَقِّبُ أفرعَها (جسدي)

مانحاً جسدي شكله بالفراغات والكتل

المستحمةِ في قزح الدمع

والدمعُ قوسُ الأفق؟!

هى الأرضُ ..

هل كنتُ أنشوطةَ الصيد بينهما

أم أنا السمك المتحجّر في مائها المشتعل؟!

هي الشمسُ والأرضُ .. رأسي الفضا، قدمايَ الممالكُ،

بين الأصابع كانت قرى النوم والمدنُ المستحمةُ

بالليل، بين الأصابع كانت رمالُ الظهيرةْ

سقوفاً تُدَرْدِبُ أوطانَ موتٍ وأكفانَ جوع وغربة

تبعثر أجناس أرصفةٍ ولغاتٍ، تبعثر حَبَّ المواريث،

تُنبت نخلَ الحجارة

تمد موائدها .. كل شيءٍ مضيءُ .. وليمتُها أرؤسٌ تتخابثُ

بالهمس، يقْطر منها دمٌ يتخاصرُ فوق الصحافِ

ويلتفُّ أقنعةً وكلاماً ـ كلاماً

يخثرِّه الخوفُ.

كانت رمال الظهيرة

تكوِّرُه شجراً حجريَّ التفرع .. يا ساعةَ الرمل ..

هل أنتَ آنيةُ الغضب المتفتّتِ هل أنتِ رمانةُ الأرضِ

يُخْتَضُّ فيكِ الفراغُ ـ الرمالُ ـ الكلامْ

وهل أنتِ موعودةٌ للهُوِيِّ حطاماً على ركبة الصرخات القديمة

وهل أنتِ منذورةٌ للتخلُّقِ أرغفةً ووجوها وأحصنةً ودما

تتخاصر فيه العدواتُ والخوفُ والقهرُ،

يرقص في شهوة العنف، يكشف ليل الغرائز

والشهواتِ الصريحةِ،

يلبس كنزَ هواجسهِ جسداً ويمد يدَ الخلق بين

الرماد ويخطو خطى الشكل بين هيولى القيامة أم أنتِ
يا ساعة الرمل كراسةٌ للمواقيت .. في كل سطرٍ
تصاريفُ أرضٍ يُغَمِّسُها البحرُ بالملح يأكلها
لقمةً لقمةً ثم يكتب :

«هذا شتاءُ المطر
أتى كرغيف الطحالب .. هل يغسل الماءُ أطرافَه
أم يجيء دماً من فساد العناصر والوقتِ،
هل يغسل الماءُ ما خَلَّفَتْه اليدُ البائدة
وهذا ربيعُ المواقيت أم موعدٌ للشجر
يفتق من قشرة الوقت أكمامَهُ الهامدة !!»

❷

نافذةٌ من الزجاج المعَشّق :

هى الشمسُ .. سَمَّرَها عنكبوتُ الشظايا

سفينةُ نوحٍ على الأرض،

وجهُكِ ياطفلة الحلم والرعب منقسمٌ

مستريبُ المساحات، أثوابُكِ امتلأتْ

بعطايا التناقضِ :

من تحتها سرةٌ تتشقق،

هذي جيوشُ السلاطين هامدةٌ في السكون الملون

(لا تعبري النهرَ يا طفلتي يا غزالةَ رعبي

وحلمي المكثف ..

يأتي زمانُكِ .. يأتي زماني .. فنعبر في

جسد الرقص، نخترق الصرخة الحجرية.)

هي الأرضُ ..

هذا الدمُ المتخثِّر، وجهُ الحسين،

وعيناهُ كأسا دمٍ،

والشهادةُ بين ذراعيه: طفلٌ تكلَّمُ فى جانبيه

الفتوقُ السخية

ودائرةُ الرمل كعكتُه وفطامُ الشفاه الطرية.

هي الأرض ..

قارورةُ الظمأ المتجَذِّرِ بين التعاشيقِ.

(هل كان يدري الحسين

بأن المياه الأسيرةَ ملحٌ أجاج

وأن اشْتجار السهام على الأفق فاتحةٌ

في كتاب المطر؟)

هي الأرض ..

نافذةٌ للغيوم الأسيرة،

لاتعبري النهرَ ياطفلتي يا غزالةَ حلمي المكثف،

هذا هو الله يمنحني ساعديه،

وهذا هو الشـعب يقـذفني حـجـراً في سكون الزجاج الملون ..

فانتظري .. جسدُ الرقص يبدأ رعدته الدافئة ..

❸

تقدَّمْ معي أيها الجسدُ ـ العبدُ

وامـرقْ كـمـا يمرق الرمحُ، هل صـرخـةٌ أنتَ
مكتوبةٌ في

نسيج الشوارِع أم أنتَ دوَّامةٌ تتجسد في

مدن تتقشَّرُ تحت نصالِ المطرْ!

ويابقعةً من دمٍ كتبتْها المدائنُ.. هل أنتِ مكتوبةٌ في المياهِ!

أم الماءُ جرحُ الكتابةْ!

تداعيات عصرية:

كنتُ ـ من نخل النعاس ـ

أحمل الطميَ الخرافيَّ وأُعطي

ـ من عطاياه ـ كتاباتِ الحواسْ

فأرى العالم حولي غابةً من شجرِ الصخرِ،

ونافورةَ ماءٍ ونحاسْ

نُصِبَتْ خيمةُ موتي ..

والعروسُ الخشبية

غُرِسَتْ في مركز الساحة .. والساحةُ ينبوعُ

دمٍ تحت ثيابي

فاضحكوا بعد رحيل النعش بالموتى،

كلوا خبزَ الشعائر

وانظروني ..

تطلع الشمس نصالاً

يسرعُ الغيمُ / البلادُ المبهمةْ

تفتح الريح كتاب المطرِ / الأرضِ التي تفتح من

شهوتها أخْدودَها البِكرَ فتهوي مدنٌ

شاختْ وعرّاها سقوطُ الأقنعة

تفتح الريح كتاب المطرِ ـ الشوكِ ـ الهواجسْ
فأرى النار التي تبرق من بين حروف الماء
أصواتَ لغاتٍ، مدناً ترجُف في لحم المساحات التي
تكنسها الريح من الإرثِ،
أرى وجه المطرْ
ألبستْه الأرضُ من لحم المساحات
(التي تسقط أو تولد)
أثوابَ الفصول الأربعة
يتمشّى في التواريخ دماً ـ نفطاً ـ حصىً من
أدْعيات الفقراءْ
واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين
وما كان ربكَ ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون.
وغيومًا كتبَ البرقُ بها وجه البلاد المبهمة ..

هو الماءُ ..

جرحُ الكتابةِ، أوراقُها الصفرُ والخضرُ،

يمحو ويُثْبِتُ ، والماء طمثٌ على قدم المدن الراحلات إلى

أول الليل والماءُ طمثٌ على راحة المدن المقبلاتِ،

ووجهي ـ الشواطىءُ ..

(فلتضربي يا مياهَ الكتابة

برجرجة المحو، هذا هو الجسد المرتخي:

وطنٌ عَمَّرَتْهُ الكآبة

وضَوَّأتِ اللغةُ المستباحةُ والغُمّةُ المستجابة

مساحاتهِ .. فاضربي يا مياه الكتابة ..)

ووجهي ـ الشواطئُ .. تلك «دمشقُ» التي كنت أغسل

أقدامها وأراها على شجر القلب رمانةً

تَتَخَمَّرُ فيها أجِنَّتُها الخضرُ،

هذي دمشق التي أسلمتْني وكنتُ بساحاتها

أتكلّم .. كان الكلامُ يحمحم في

جسدي باشتباك الغرائزِ،

وَشَّحْتُ وجهي بلون الردى

وانفعال الشهادة

أنا جسدٌ يسكنُ الصوتُ أعضاءَه.. وأنا الصوتُ

أسكن في جسد الشعبِ

والشعبُ يبني القرى *(أرأيتَ الملوكَ إذا*

دخلوا قريةً ؟) كنتُ أغسل وجهَ دمشقَ

وأقدامَها وأراها على هودجِ العُرسِ ..

«فلتنسُجي كفني يابلادي

فوجهك محْوٌ لوجهي، ونهرك مرثية في العمادِ

وأنتِ .. ازرعي خشبا للتوابيتِ

ولتكتبي في الرمادِ

وخطّي مصائرَكِ الهمجيةَ .. لا أنتِ مسكونة،

ليس هذا الدمُ المتخثّر من نطفةِ الخلقِ،

ليست بلادي بلادي»

وكانت تحلُّ ضفائرَها تحت ألوية السَّبْي

تنثر أبناءها في نسيج الشوارع

في كل وجه تواريخُ نوم يُفَزِّعُه الحرسُ الملكيُّ،

وتحت القنوط المداهن نافورةُ الغضب المتآكل

تَبْرُقُ تصْدأُ .. هذا أنا غضبُ النارِ نارُ الغضبْ

وهذي النعوشُ المليئةُ مسبحتي ودمي طالعٌ

في عروق الخشبْ

أنا في الرغيف الخميرةُ، في السوق سرٌّ الربا ،

في كنوز الصبايا قُشَعْريرةٌ،

وأنا فيضانُ الكلام المؤجَّل .. أحمل وجه

دمشقَ على شجر القلب رمانةً،

أتحول في النهر دوّامةً من حجارة

(وحدثني أنه اصطنع الأمويين والشعبَ

نهرين بينهما برزخٌ عسسٌ وسجونٌ

وأقلامُ فقْهٍ ملونةٌ.)

قال : فانظرْ .. فأبصرتُ .. هذا هو الكلُّ .. فانْزرعي

يا بلاد الرعيةِ بالخيلِ وانزرعي بالرماحِ الطويلةِ
وَلْتَزْحفي مثلما يزحف السيلُ
فلينقسمْ كلٌّ بيتٍ على نفسهِ كلٌّ ماءٍ على نبعهِ
وانفجرْ يازمانَ الرضاعةِ أزمنةً للعداواتِ
والقتلِ والثأرِ .. قومي ازحفي يابلاد الرعيّةِ
وانقسمي قسمةً تتوحّدُ تحت رحاها السنابلُ،
هذا دمٌ تتوحَّد في أرضه مهرةُ الحلم،
يكتسحُ الماءَ
والماءُ نهران بينهما برزخٌ ..
فلتقومي ..

فتوى للغضب :

باسم مَنْ أكتبُ .. والليلُ أمامى كتبٌ مصفوفةٌ
والشعبُ لا يقرأ ؟!
فلْأكْتُبْ :
ضرْبنا مثلاً ما ملكاً كان هو الساحر والكاهنُ،
والغابةُ طقسٌ جسديٌ، كانت الغابة فيه
شجراً منتظراً والنومُ تاجًا من فراء المطر الأخضرِ
والصيدُ انفساحَ الدهشة البكرِ، وكان الصولجانْ
قمرَ العشب ونهرَ الدم مابين أقاليم الحواسّ.
أرأيتَ القمرَ الأخضر يطفو في الينابيعِ؟ رأيتَ السمك
الوحشيَّ يلتفُّ به، يأكل من أحشائه، يرتدّ في

سُلَّمِه الهابطِ للموت بطيئاً ؟

أرأيتَ الملك الكاهنَ تستعصي عليه لغةُ السحر ؟

رأيتَ الجسدَ الذابل تنشقُّ عليه الغابةُ ـ النهرُ ـ المطرْ

فهو في جوع القبيلة

موسمٌ يبدأ ، في أرحامها وقتُ دمٍ يفصل بين الموت والخلق ؟!

وهذي لحظةٌ تنفتقُ الذاكرة الحبلى بها .. والشعبُ

يرتدُّ إلى حربته يِشْحذُها ،

يرجع للطقسِ ومثياق الذكورة.

أرأيتَ الملك الساقط ما بين الحرابْ

جسداً منفرطَ السرِّ؟ رأيتَ الشعب إذ يغمسُ

كفَّيه بعنقود الدم الفاتر أو يغسل أطراف الحرابْ

خالعاً طاعته، متَّشحاً بالرعب والجَرْأَةِ؟

كان اليومُ من أرغفة الخلق الطقوسيّ .. وكان الرقصُ
شعبًا طالعًا كالنهر، كان الرقص عرشاً ـ صولجاناً ـ
جسداً يولد، كان الرقص تاجاً، والقبيلةْ
ملكاً، والرقصُ والحريةُ بهواً للمراسيمِ.
رأيتمْ؟!

وأنا أكتب أمثالاً:
أرى في جسد الشعب الينابيعَ العميقة
مُلئت بالسمك الوحشيِّ، والنهرَ الذي يفْجأ بالبرق،
أرى وجه القمرْ
بازغا في أفق الجوعِ ـ الدمِ ـ الرقصِ ـ الحرابْ
(أسمعتُمْ صوتَه في الجسد الذابل يبكي ويغني؟).

فاخرجوا .. هذا هو البرزخُ .: هذانِ هما النهران ..

فارْموا عن يدين .. اقتتلوا

فالدمُ القادمِ أرضٌ، مهرةُ الحلم ..

سمعتمْ؟!

4

أنا فى دمشق التى كنت أعشق غَمَّازَتَيْها

أمرُّ مرورَ الهواء المراوغِ

تمتدُّ بي شجْرةُ الموت كالقلعِ

من حوليَ الأرضُ مركبةٌ جنحتْ ..

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر

فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ

كل سفينة غصبا ..

ولكنهم أسْلموني .. هي الأرضُ معطوبةٌ،

فانتظَرتُ .. أكانتْ مرايا الكلام رماديةً

لستَ تدرى أتبصر وجهكَ أم وجهَ جلادِكَ

المتخفِّي وراء الزجاج أم الموتُ

يْرقب ميعادَه بين عينيكَ!!

خيلُ «هشامٍ» مطهَّمَةٌ وهو يعبرُ بين الجماهيرِ

(هل هذه الرَّغْوَةُ البشريةُ من فقراء الرعيّةِ

أم طغمةُ الحرس المرتشي تتخفّى وتصطنع

الفقهاءَ وتعقد من زحمة المهرجانات أقنعةً؟!)

وخلتْ ساحةُ الموت *(والأرضُ لافتةٌ قشَّرتْها الحوافرُ)*

والليل يهبطُ .. يهبط .. تمتدُّ بي شَجْرَةُ الموت في الريح

يا أيها الطائر المرتخي .. جسدي أفرعٌ

تتوجَّع، هل قادمٌ أنتَ ملتجئاً لعشاش

الجروح لتكمل نومكَ أم أنتَ مرتعدٌ

والمسافاتُ تحت جناحيك تَفْقِسُ أرضاً وشعباً؟

أنيخي على الأفق ياناقة الموت، وارتحلي،

ها هو القمحُ والنخلُ أبسطةٌ والجيوش الغريبةُ

واقفةٌ فى المداخل والشعبُ يبني القرى

(أرأيتَ ملوكَ السلالة إذ يدخلونَ القرى؟!)

وأنا جسدُ الصرخة الراحلة

سلامٌ على النهر في كتب الفيضان المؤجَّل،

ألقي سلاما على زهرة الإنقسام التي تتبرعم في

خرق الجوع والخوف

ألقي سلاما ..

1973 / 8 / 17

حُلْمٌ تحت شجرة النهر

1

أنتِ .. هل أنتِ بلادُ الدفء والأرضُ قميصٌ فوق
أكتافك محلولُ العرى والبحرُ في حقويك محرورٌ
رمى سرواله الأخضر واستلقى نعاسا
تحت أفيائكِ ـ

والأرضُ صراخٌ نُثرتْ فوق مهاويه القرى [1]
واستُنْبِتتْ من ركضه الهالعِ أسوارُ المدائنْ
فأنا أبحر فيها ؟!

(1) ألبستْني القرى عُرْيَها معطفاً وأساورَ طينيةً من مجاعاتها ، وهبتْني قُبيل رحيليَ زوادةً من مواويلها، والبكاءُ برجليَّ خفّان، أبوابُها موعدٌ للبكاء وأعتابُها غربةٌ تترجّل في وطن الروح،
والثأرُ أحصنةٌ حمحتْ تحت شمس الشراسة،
ألقتْ بفرسانها في برارِ من الماء والنارِ،
والنهرُ يَغْذُرُ بالجثث الطافيةْ
وكل القرى انتظرتْ جثث الميتين بعيداً ..
فهل يفتح النهرُ أبوابه في سواعدهم،
هل يجيئون .. هل ؟!

2

جسدي يطلع من طينته، والغَمْرُ محفوفٌ بليل الخلق،

والله على جوهرة الخضرة[2] يدعوني كتابا وقراءة

وأنا أسمع صوت الشجر الطالع في الرعد

فأدعوه رغيفاً وعباءة [3]

آه من تسمية العالم :

رعبٌ يفتح العالم للهجرة في الموت،

وموتٌ يفتح الأفق على مملكة الماء ..

اسمعيني

فأنا الطالع ما بين يديك

مُبحراً، (تنورُ ميقاتك يخلو من رماد الوقت)، نارٌ

طلعتْ منه، ونهرٌ فائرٌ بالماء ينشقُّ من النارِ ..

اسمعيني

---

(2) هذي جُذاذةُ قولٍ من الكتب الصفر تطفو
إلى مطرِ الخلق من غرينِ الشهوة الجامحة،
وتخضرُّ ما بين متْنٍ وحاشيةٍ ثم تُقرأ في ورق القلب
(والقلب ساعةُ طميٍ يرفرف ميقاتُها في فضاء الدما)
تم تأخذ وجهاً يُجَدِّدُ في جملة القول ركنين : فعلاً وفاعلْ.
(3) أكنتُ أنا أرتديها .. أكانتْ مخبّأةً تحت جلدي؟!
زماناً أرقِّع والخرقُ ليس يضيق، وهاأنذا خالعُ جسدي.

فأنا عصفورُ ماءٍ، وطني جُمَّيْزَةٌ أسْقطها البرق،

وفي مملكة الريح دمي فُسْحَةُ حلمٍ بالبراءة

وأنا أبحر .. هذا جسد الليل، وهذي

مدن البحر[4] المضاءة ..



كان ماءً يابسًا ..

يطلع أشجاراً ويمتد رصيفينِ من الظلمة،

قاعُ هذه الأرضُ، على أكتافنا من كرة البحر[5]

ظلامٌ يابسٌ من جَمَدِ القُطْبِ،

ومن مملكة الملح شعوبٌ طلعتْ :

تحت قشور الجسد الرخو نزيفُ العشق والموتِ،

---

(4) قلْ لو كان البحرُ مداداً .. /
فمن يستطيع كتابةَ مرثية المدن الراحلات ..
تمرُّ جنائزُها، كلُّ موتٍ ولاية
وكل الولايات باعتْ مفاتيحهَا،
قطعتْ من صكوك الرؤى شجراً للقرى والسقاية .

(5) وهو في مملكة القلب جاذبيةُ الهدمِ وأفقُ
التناثُر وبعثرة الأشلاء،
باسمه أتكسَّرُ، وعلى راحتيه أسيل دماً نافراً منشقّاً،
وأطير زفرةً مبطنةً بالخوف ومحشوةً بالعشق الوحشي
المعارض، وفي جسدي يتكلم ماءُ الينابيع .

نوافيرُ الدم الناضجِ في نخل العداوات وأنساب القبيلة
وأنا أكسر من فوق النواويسِ وأحجارِ المياه
خاتَمَ الطمي ..

افتحي في كرة الليل الدهاليزَ
أنا أكسر أختامَ الملوكِ،
انتشري من ورق الوقت وجميزة نيرانكِ ..
في كل كلام[6] شَرَكٌ يختانُ نهديْكِ،
اركضي في خطواتي والبسيني جسداً،
وانتشري من ورق الصرخة والفتح ..
أراهم يقَتلون الآن أبناءك،
يَسْتَحْيُون أبناءَ المماليكِ
فهل أسْمَيتِني قبل الرحيلْ

---

(6) رأيتُ الكتابَ سجناً والسجينَ كتاباً،
بينهما جسدٌ مصلوب تنقُر العصافيرُ عينيه :
إن فتحهما عَمِيَ وإنْ أغمضهما رأى وإن
رأى احترقتْ أوراقُ قضيتهِ وذهبَ دمُه هدراً.

وطناً ! هل أنتِ خَبَّأتِ بأعضائيَ شعباً ؟!

وأراهم يُقبلون

مدناً تصهل في أهدابها الظلمةُ،

في أحراشها تشتبك الحيتانُ،

في أرصفة الليل الثقيلْ

تَتَعرَّى شهوةُ القتل البدائي على ألحفة العرس ..

اركضي في خطواتي قبل أن يَسَّاقَطَ الغرْينُ من

جميزة النهر[7] فإني /

[أنتظركِ على كل فج فانبسطي

كالبر والبحر وارتفعي كالسماء المرتفعة،

فإني أرسل النار بين يديك

فلا تدور ولاتستقر[8].]

---

(7) والنهرُ في مصحف الأرض قد كتبتْه يدُ الرب في سورة الماء، كلُّ القراءات مكتوبةٌ في صحائفه :
كان أبيضَ أحمرَ أخضرَ ـ
من كان ذا بصرٍ فليرَ الآن ماذا تقول الحواشي التي
كُتبتْ في لفائفهِ ثم فسَّرها الطلْعُ والشجر الآدميُّ
اقرأوا .. كلُّ شيءٍ قراءة .

(8) من النفري.

وأرى في جسدينْا صخبَ الحلم القديم :

[أيتها النائمة هلمي فاستيقظي وأبشري

فقد أنزلت المائدة ونبعت عليها عيون الطعام

والشراب وسوف يأتونك فيروا ني عن يمينك

وشمالك ويكونون أعوانكِ ويغلبون

لأن الذي يقاتلهم يقاتلني وأنا الغلوب

فتحت الأبوابُ عليك

فتزيني وزيني الشعوبَ ببهائي[9]..]

(9) من النفري .

❹

كرة اليابس والماء .. انظريها

قشرةً من حول أعضائي

ويسَّاقط من جميزة النهر دمُ الوشم على رأسي،

وتاجُ الطمي مختومٌ على هيكليَ النائمِ في الموتِ ..

أرى تحت قماط الكفن الحائل

أيامَك تأتي هودجاً يكسر أختام النواويس ..

انظريني : ملكا ألبس تاجيك ..

اخلعي خلخالك الفضيًّ .. هذا حجرُ

الماء يغطيني، اكْشفي وانكشفي،

بطنُك بيضاءُ وحمراءُ وخضراءُ،

وقال [النهر] لي :

[انصبَ لي الأسرّة وافرشَ ليَ الأرضَ بالعمارة

وارفع الستورَ المسبّلةَ لموافاتي فإني أخرج
وأصحابي معي وأرفع صوتي وتنبتُ شجرة
الغنى في الأرض ويكون حكمي وحدي،
ذلك على المعيار يكون
وذلك الذي أريد[10].]

1973 / 11 / 29

(10) من النفري .

وشم النهر علي خرائط الجسد

«الوشم الرابع»

[هل أنتَ تحلم فالشمسُ طالعةٌ في صراخ

المواويلِ والنهرُ مختبئُ تحت سريركَ

والنومُ بوّابة تتدفّق منها مواريثُك الصامتة؟!]

رأيتكَ طالعاً،

ورأيتُ شمس الدمع طالعةً وراء

قميص شَعْرِكَ والظهيرةُ نخلةُ الوشم

المدلّى في فضاء الحلم والموالُ بواباتُ أرضك:

هذه تغْريبةُ الخيل الفتيّةِ في

مراعي الدهشة الخضراء، والبحرُ المراهقُ وردةٌ

فتَحَتْ على زَبَد الغرائزِ جلوةَ العرس الخرافةِ،

هذه فرسٌ مجنّحةٌ تهمُّ إلى سرير الأفق،

هذي كائناتُ الماء جامحةُ اللّيونة تفتح

الجسرَ المرابط هودجاً لتساكُبِ

الأجساد في الأجساد.

شمسُ الدمع طالعةٌ وفي فَوْدَيْكَ نافذةُ

العصافيرِ الأسيرةِ، صمتُك الدهريُّ خبزٌ في انتظارِ

الآكلين،خطاكَ نقشٌ دائمُ التجْوال في لحم الكتابةِ[1]
أنت تغتصب الهيولى زوجةً وتردُّها مكتوبةً في
مصحف الأرض البراح، وأنت في ظلمائها شبحٌ
يضيُء نوافر الجسد المكدس بالفصول، يضيء تحت
دوائر الثديينِ أجرانَ السنابل والمواويل المليئةِ
بالخيول الخضرِ، يفتحُ في خشونة عشقها وطناً
ومملكةً لأبناء السبيل وأنتَ عرشُ النوم في
أعضائها..

لبسَتْكَ عاريةً وأنت جريت في
أبهائها مترجّلاً وتركتَ في راحاتها حَبَّ الطحين،
كتبتَ في ورق الزواج تميمةً ممهورة بالخبز والبركة.

---

(1) كتابُك يطلع بين الأظافر واللحم عرساً من
الصرخات وطمياً من الغضب المنتشي بالمياه العميقة،
يطلع من رِجفِةِ الجرح تحت نصال المطر /
ويطلع : بردِيهُ زغبٌ تتشقق من تحته صفحةُ الوجه
والنقشُ عصفورةُ الخوف، والله يسكن في
وحشة البوص، وجهك في نخلة النهر طلْعُ الكلام،
وطبْليَّةُ العائلة / مقسَّمةً بين أيدى المماليك،
مكتَوبةٌ فى حدود الأقاليم، فاقرأ :
كتابُك فى عنق العائلة
تَفَيَّأهُ واقرأ تحاياك تحت رنين الفؤوس الصدئة،
تحتِ مصاهرة الخوف، تحتِ شموس الدم المقبلة
وكومٌ ثريدكَ فى قصعة الشِّعْرِ .. وانتظر القارئين ..

كان سربُ اليمام الملونِ مندهشاً بالشمس والفراغِ المضيء،
كانت دوائره تتداخلُ وتكتبُ وردةً وسنبلةً نازفةً من
هدوء الأفق، ثم تعلو وتكتب تاجا للملك المساحات الممتدة..
تفاجئها أبسطةُ القمح وحصيرةُ الزروع والينابيع فتهبط
كالعناقيد المنفرطة.
تري قميصك المفْتوقَ نافذةً على حجرة النوم
الأرضيةِ[2] وطبقاً.

---

(2) على الباب تزرع كرمًا تعشش فيه الرياح
وتلتمُ زقزقةُ الطير، تحفر تحت سرير الرماد
المكوّم نهرا وتحلم :
هذا هو النهر ينسج أعشابه هودجاً
والعرائس يطلعن من خضرة الماء والشمس ترمي
دنانيرها ـ
أنت تحلم :
مَحْرمَةُ العرس منقوشةٌ بيمام الدم
المتوهج، هذى هى الريح تعقد صرتها من
بعيد على النقع والخيل، تأتي إلى شاطىء النهر
(بينكما الماء والشمس)
ما كدتَ تنظرُ حتى رأيتَ أمير الخيول المغيرة
والموت يلبس شكّتَه ويُخَوّض فى النهر نحوكَ
هل أنت تحلم ؟َ!
كان أمير الخيول المغيرة والموت مرتعشا
تتفكك أعضاؤه ويذوبه الماءُ، يجرفه النهر ـ
هل أنت تحلم فالشمس طالعة في صراخ المواويل
والنهر مختبىء يتكلم تحت سريرك والنوم بوابة
تتدفق منها موارثيك الصامتة؟!

من القمح وفتات الخبز ومخدةً من القش وشجرة..
فتختبئ في قميصك المفتوق ـ
وأنت تكتم الضحك كيوم ولدت البقرةُ ويوم تَعَلَّمْتَ
تَحَسُّسَ المشيمةِ والبيضِ الدافئ وتعرفْتَ عَلى وجه
أمك في رائحة الخبز واللبن الرائب،
وأنت تكتم الضحك واللهفة والجزع كيوم انتظرتَ مهرةَ
عاشوراءَ ونسْجتَ من أصواتِ الريحِ وصريرِ الأبوابِ

وزواج الكائنات مشاهدَ للعدل والقيامة

حتى فاجأتْكَ الشمس فطيرةً حمراءَ على مائدة الليل

فخفت أن تصحو الحاكورةُ وتراك متلبّساً بالحلم..

فكنتَ أول من يخرج لملاقاة العشبِ المفضّضِ

بالندى ورائحة الطمي المبلول وترى ما تركتْ طيورُ

الفجر على التراب الرطب من آثار مخالبها المتشابكة،

خطوطاً خطوطا كالشجر والأغصان، يدق قلبك

بعنف وتتلاحق أنفاسك بالخوف والغبطة والمطاردة:

هذه رسالةٌ لي، هذه الكتاباتُ على الأرض معقودةٌ

على سر الخليقة ومطويّةٌ لي على وعْدٍ خاص،

أتكشّف فيها أبجديةً متشابكةً ملفوفةً معقودةَ الأطراف

منقوطةً وغيرَ منقوطة،

هذا ألفٌ متكسِّرٌ وهذه ياءٌ كالمهرة الجامحة

هذه مملكةُ القراءة، وتاجي كلمةٌ تسبح

أغصانُها في شجر الأبجدية الذي يبدأ ولا ينتهي،

وأنتَ .. ياكتاب الأرض المنقوشة

من أين أبدأ وأين تنتهي الجملة الأولى؟!

آ .. را .. يا ..

وقبل أن تلتقط خيط الجملة الأولى تصحو الخليقةُ

كلها، ويحرثُ الله أرضه الواسعةَ بأقدام

السعي المبارَكِ وأظلافِ الأنعام و..

سربُ اليمام يختبىء تحت قميصك المفتوق ..

أرسم مجمرةً من الصلصال المحروق وأسميها

طاقِيَّةَ الوبر، وأرسم خطوط الطول والعرض على

وطن بمساحة الجسد وأسميها سراويلَ الدَّمُّور
وكوفية الزغب المراهق وصُدَيْرِيَّةَ العرس المؤجل،
وأرسم دراهم الكحل والغبطة الفسفورية في
زرائب الرياح والبوص وظل الشجر، وأرسم
إبريق الجماعة وشاي الظهيرة وأقراط الخرز الملونة
وأكتب : هذه شجرةُ العائلة
وبركة الإقامة بين السماء والنهر.
وأنظر :
هذه الأرض المقيمة في خطاك،
وهذه سجادة الظمأ المشَجَّرةُ المساحة بالشقوقِ.
وأنتَ للفيضان أبوابٌ مفتَّحةٌ برائحة المياه،
تفوح من إبطيك رائحةُ الدَّريسِ، بوجهكَ الشمسُ

ابتنتْ أكواخها،

قدماك جَوْرَبَتِ الشقوقُ عليهما جلدَ الذبيحة ..

هذه الأرضُ المقيمةُ في خطاك ازَّيَّنَتْ بقناعها السريٍّ:

(شمسٌ تفتح الساحات أجراناً مكدَّسَةً

وصيفٌ يكنس الكيزانَ،

شمسٌ للفساد ولاغتلام الكائنات

ولحظةٌ للموت والميلاد تفتح في

تحاريق البراح شقوق شهوتها المقيمة بين

محراث الذكورة والمياهِ.)

وأنتَ: في قدميك تمتلىء الشقوق بكل مافي الأرض،

هل يمتد لحم الأرض من قدميك أفْدِنَةً فأفدنةً؟!

أم الأسماءُ والوطن المليء مكدسٌ بالدمع

تمنحه خطاك خريطةً فيقيم في جلد الذبيحةِ

والشقوقُ تَفَرَّعَتْ من حوله شجراً و أسْيِجَةً؟!

وأنتَ الآن تطلع من ثيابي، أنت تطلع من
رؤى غضبي، وتطلع حارسًا، والشمسُ مِقْلاعٌ،
وتحت خشونة الزَّعْبوطِ وشمُ غزالة بريةٍ ..
جُمَّيزة الملكوت تسقط
أنت في زمن اغتصاب الشعر فاغتصب الولايةَ
واغتصبْ لغةَ العراك ونازل العشقَ العصيَّ
وزاحم الميراثَ بالورثة /

قاف : آخرُ العشق وأولُ القتال،
آخر الغرق وأول القراءة.

تاء : طبقٌ للخبز وجَفْنَةٌ للدمع والدم،
آخر السُّحت وأول التراب.

لام : صرخةٌ معقوفةٌ وجسدُ امرأةٍ يَتَقَبَّض
بالشهوة ورشاقة الطيران في الريح
وامتلاءِ الحمل وتحدّي الولادة،
شِصٌ عالقٌ في قلب موجة دوّارة
(هل أنتَ الصيدُ أم الصيادُ أم أنت صانعُ
المسافةِ بين أقصى الفريسة وأقصى القصاصْ؟!)

كل أرض ألزمناها طائرها بين شمس الدمع وخشونة
الأيدي ودهشة الطفولة الوارثة
فاقرأ كتابك ...

هذه الأرض شهادة تتوقَّد بالزهر والعشب والسنابل
وتتسع كالوليمة وتعقد مناديل الخبز على حوار
القاتل والقتيل
طُويتِ الصحف وجفتِ الأقلامْ ..

1974 / 5 / 5

1968

القطاراتُ لم تنقطعْ..

غبشُ الفجرِ لوزةُ قطنٍ مبدَّدَةٌ نفضتْها
الرياحُ على قبة النخل والشجر النائمِ، انفتحتْ
خَوْخَةُ الباب ..

صوتُ الأمومةِ من خشب السَّنْطِ آخرُ
زادٍ ومفتتحٌ للبلاد الأليفة، آخرُ ما أعشب
الوجه من زغب الشمس، أولُ لافتة أتهجى
كتابَتَهَا غربةً فيِ اتساع الشوارع بالخلق..
والفجرُ يفتح أبوابه في زجاج النوافذ،
شمسٌ بكعْكِ السَّميط المَحَّمصِ تطلع منقوشةً
بالجدائل والسمسم

(انخلعتْ في الجلابيب أحصنةُ الطين،

لُبُّ النوى المرّ، مسبحةُ الرامخ الأملس)

انفسحتْ بيننا الأرض يارهج الحرب بين القبائل

(هل أنتم الآن بين الحجاز وتونس، هل

صدئت في دروع زناتة أو في سيوف

الهلاليّة الشمسُ، أم تمسحُ الكتبُ المستجدةُ

صوتَ الربابةِ من طينة الذاكرة؟!)

وخبز القرى في الحقائب مرتعشٌ بالقرابةِ والملحِ

(عينٌ زجاجيةٌ تتقحَّمُ جيماً معطَّشةً،

وطنٌ ينتهي من كلامِ الختانِ الصبيّ،

ونهرٌ أفتّشُ عنه خرائطَ ليستْ مبلّلةً،

ورقٌ تتكومُ فيهِ البلادُ الفسيحةُ،

والماءُ يسكنُ بئرَ التذكّرِ، والشمسُ

مرسومةٌ بالرصاص.)

القطاراتُ لم تنقطع..

والمسافات بين الوجوه وبين المرايا

مهشَّمةٌ، هاهو الوطن المستديرُ على جسد الأرغفة

تكسَّر فوق الموائد، هذي صحافُ الكوابيس:

أطعمةُ الخوف دافئةٌ، والسلالُ المليئةُ

تفتح صُرَّتَها في رصيف المحطّاتِ، ينتشرُ الوحشُ،

يلبسُ أقنعةَ الأهلِ، يركضُ في فلواتِ الوجوهِ الأليفةْ

وحوشاً وحوشاً..

فأصرخُ..

يستيقظ الضحك، السوق تمتدُّ أروقةً

للمساومة، الأرض تنشقُّ أرضين،

والشعبُ شعبين، أحصنةُ الماء تصهلُ في الذاكرة.

هو الماءُ ..

جمرةُ عشقٍ مُتَوَّجَةٌ في براري البداوة،
محفورةٌ في بكاء الطلولِ ومكتوبةٌ في سيوفِ القبائلِ
والشّعرِ مكتوبةٌ في طقوس الدم الجاهلية.
هو الماء جمرةُ عشقٍ متوجةٌ والرعيّةُ من
أصدقائي امرؤ القيس علقمةُ الفحلُ والنّفّريُّ
الغريبُ المشرَّدُ بين قرى مصر والبصرة،
السُّهْرَوَرْدِيُّ زوجُ ابنتي وأنا طالب الثأر من
قاتليه وممن يُعيدون تطويقَهُ بالحصارِ المعاصرِ والأسئلة
أحرّرُهُ من سجونِ الخليفةِ كي يفتحَ الأسئلة
مناديلَ للخبز، بوابةً لاغتصاب الميادين من حاكميها،

فهل لغةٌ تتوقّدُ فيها مصاهرةُ العشق والموت،

هل قمرٌ يتكسّر مسبحةً،

هل صلاةٌ تدمْدِمُ في شجر الربّ، هل

أصدقائي يُقيمون في الزّلْزلة

ويُلقون أقوالهم بُسُطاً في الميادينِ..

هذي أباريقُهم مطرٌ من صراخ النبوّة،

هذي الجموعُ استحمت بشمس المجاعةِ..

هل أصدقائي يُقيمونَ بالجامعة

صلاةَ القبائل للغيمِ والنهرُ ملءُ اليدين

وهل لغةٌ تُشعِلُ النار في حطب الشّعر..

هذا هو النفريُّ المشرّد في لغة

الخطباء يولول في وحشة السحر يصرخ في

صحراء الكلام ويكسر قُفْلَ الينابيع يدخل

في مدن الحاكمين يقيم المتاريس ينشئ كومْيونَةً من

قُشَعْريرَةِ الرفض والأسئلة

(وأوقفني.. عن يميني خرابٌ يُسَيِّجُه النومُ

والأرضُ قد لبستْ زخرف (الأمن)

وازَّيَنَتْ، عن شمالي خطى النهر كانت

تلاحقني، كان يَفْرِطُ في خطواتي االشباكَ

المليئةَ بالموج، يكشف لي سمك الحلم والنار

في الغيمة المثقلة

فهل غرقٌ يستعيد الينابيعَ

هل غرقٌ تتفتحَ فيه الهتافاتُ عن جسد الحلم،

هل غرقٌ تتقشرٌ من تحته المقصلة

فيهوي الكلامُ المهجّنُ،

هل غرقٌ يتلبّس كالمسّ والهذيان المرابطِ في

ساحةِ الحلمِ والخلقِ،

والحلمُ مركبة الحضْرةِ الشاملة ؟!!

وهذا هو السهروردي يدخل ليلَ الميادينِ

والأرضُ مخبوءةٌ تحت جُبّتِهِ وهو يبصر طيرَ

الجلالة منتشراً تتقمصُه الكائناتُ الأسيرةُ

محتشدا في قلوع المراكب والنهرُ يمشي

مظاهرةً فمظاهرةً..

والبلادُ البعيدةُ ترسل ملءَ السلال فطائرِهَا

الدمويّةَ زوادةً للجموع المقيمة خلف المتاريس

ترسل موّالها المتجذّر في الدمعِ والسهرورديُّ والنفريُّ

يخُطّان فوق الحوائطِ والصحفِ الجامعيةِ طيرَ الكلام
المفاجئ بالشمس والريح،
والكحلُ مشتعلٌ في عيون الصبايا بوحشية الحب
والثورة المقبلة

* لو أني أطلعتُ من لغتي نخلةً لخطفتُ اللغاتِ
الهجينةَ خطفَ المناجلِ/ درستُ المعارفَ درسَ
الرمالِ عصفتُ عليها الرياحَ العواصفَ
«مراسلة من النفري»

* الواقفون بي واقفون في كل موقفٍ
خارجونَ عن كل موقفٍ.. وأنتَ مَعنى الكونِ كلّه.
«كلمة سر الليل للنفري»

* قد جاء وقتي وآن لي أن أكشف عن وجهي وأظهرَ

سُبُحاتي ويتصل نوري بالأفنية وماوراءها وتطلع

علىٰ العيونُ والقلوبُ وترى أوليائي يحكمون، فأرفع

لهم العروشَ ويرسلون النارَ فلاترجع وأعمّرُ بيوتي

الخراب وتتزين بالزينة الحق، وترى قسطي كيف

ينفي ماسواهُ، وأجمع الناسَ على اليُسر فلا

يفترقون ولا يذلون.

«رسالةُ تحريضٍ من النفري»

* أنا مُلَيِّلُ الليل ومُنَهِّرُ النهار، أَفَلَ الليلُ

وطلع وجه السَحَرِ وقام الفجرُ على الساق،

أربطُ المنْطَقَةَ فينعقدُ كلُ شيء، وألبَسُ درعي

وَلأمتي فتستيقظ الأرضُ، وألبسُ البرقعَ
ولا أكشفه.
«دعوة النفري للمنازلة»

* العِلمُ المستقرُ هو الجهلُ المستقر.
«دعوة النفري لقراءة مالم يُكتبْ»

* اهْدِمُوا واهدموا واهدموا
نَفَخَ الله في جسدِ الشعبِ لما استوى فوق
عرشِ المجاعات،
ينفخ فيه السنابلَ والغَضَبَ المتأجّجَ،
نحن له أنبياءٌ، مصاحفنا تَتَنَزّلُ من شهوة الماء
اهدموا واهدموا

فالشواديفُ شاهدةٌ والسواقي رسائلُ مطويَّةٌ
حملتْها إلينا المواويلُ من قرية الأهلِ،
خاتمها وردةُ للصراخِ..
اهدموا واهدموا..
«نشيد الخروج»

* هذه قبةُ الجامعة
هبطَ الليلُ.. فالتَفَّ حراسُها للهجوم المباغتِ
والنومُ تطلع أشجارُه، انطفأ الكحلُ، أرْخَى
الرخامُ يديه على ركبة التعب المتألِّقِ،
والنومُ ينثر أعشاشه بالهواجس والخوفِ..
هل لانَتِ الأرضُ كالفُرُشِ الأُسَرِيَّةِ

فالتحمَ الجسدُ الآدميُّ بصمتِ الحجارة

والكتبِ الآفلة

ودوّى الرصاصُ البعيدُ..

هل استْيقظ الماءُ في الذاكرة

فهذا هو النهر يترك فَرْشَتَه ويمدّ خُطاهُ

وجوهاً وجوهاً

يُشَجِّرُ ليلَ الميادين بالرقصِ والأذرعة

ويفتحُ لحم الشوارع

بيتُ الشوارع يفتحُ نافذةً للأمومةِ،

في ظلمةِ الشرُفات تضيء الأبوّةُ بالخبز والماء،

تحت الضفائر يبرق وَهْجُ القرابة، ينعقد

الخوفُ والياسمين المفضّضُ بالدفء زغرودةً

للزواج الجماعيّ أسْوِرَةً للمواعيدِ..

دويّ الرصاص البعيدُ القريبْ

وأقبل سيلُ الدروع الصقيلة

يسدّ المداخلَ، وانْهمر المطرُ المتوحشُ قعقعةً

ونجوماً نحاسيّةً.

ـ: كل هذا السلاح المرابط من أجلهم؟!

ـ قالت امرأةٌ ـ

وطنٌ يتقلّد مجزرةً

أم يخافون شعباً تربّى على الخوفِ؟!

ـ: أسلحةٌ مشتراةٌ بما كشفتْه المجاعاتُ من

صدأٍ فوق أسنانهم ثم تُشْرَعُ صفاً فصفاً

فتصرخ تحت فتوق الثياب القديمه شيخوخةٌ باكرة؟!

ـ تقولُ الصَّبيَّةُ ـ

(لكنها قبل أن تُكملَ القول يخنقُها الدمعُ)

دوّى الرصاص القريبْ

هوالموتُ.. يفتح تحت عباءته سكةً لالْتحام

البنادق باللحمِ

دوّى الرصاص المفاجئْ

قَعْقَعَتِ العرباتُ المدرَّعةُ، انغرستْ في

الرصيف الأكفُّ، فتحنا الخطى سكةً يهربُ النهرُ منها

ويحمل جرحاهُ في دمهم للبيوت القريبةِ

(هل غسل النهر أثوابه من

خيوط الدم المتخثّر، هل زال حبرُ المطابع

من فوق كفيْهِ؟!)

هذا هو الفجر يكنس صمتَ الميادين

والشمسُ تلمع فوق الدروعِ الصقيلة.

«سيناريو تسجيلي»

شهادة:

البلادُ البعيدة أوحَشَها الحلمُ والرقصُ

فالشمسُ مجْدورةُ الوجهِ، تصفرُّ تحت

المِلاطِ المقشَّرِ، تسودُّ في جُدُرِ الطينِ،

ينْفتحُ الجرحُ في جثة الأمكنة

فماً بارداً كنعاس الغريق على العشب،

قَرفَصَت النصُبُ الحجريّةُ، هذي سماءُ الميادين

مثقوبةٌ..

ليس منتظماً فوق طبل البراح المشاع سوى

خطوةِ الدركيِّ وصوتِ الحذاء الثقيل على حَجَرِ السمع،

في ورق الذاكرة

يُقَرْفِصُ في دمه وطنٌ نقشتْه الشطوطُ البعيدةُ

بالسَّلْقِ والشمسُ محمرَّةٌ في مياه الأصيلِ،

القطيفةُ في حبق الماء مسْكونةٌ بالفراش الملون،

سجادةٌ من نجيل المجازات، رائحةٌ من وضوء

الجباهِ السخية فوق حصير الجوامع، رائحةُ

الخبز طالعةٌ من مواقدنا العائلية.. في ورقِ الذاكرةْ

يقرفص في دمه وطنٌ..

وحدها.. قامةٌ من رخامِ

الليونة والدهشة الشبقيةِ،

والقُرْطُ مركبةٌ للنداءات والوحشةِ المزهرة
وَقَفتْ تتمسَّحُ في ظلها تحت ضوء الفوانيس،
ترمي رمادَ سجائرها في الرياح، تُقَزْقِزُ لبَّ المواعيد
والتعب المتدثِّر بالكحل والزّغَبِ المتخفيّ ودفءِ الفراء.
(خطوةٌ.. خطوتان..
ومن بين وجهيْهما شعلةٌ ودخانُ
السجائر كالفرشة المستَضاءة،
عاد إلى مُسْتراح الحذاء الثقيل على
حجر السمع.)
«محلوظة: النهاية مفتوحة»

نداءاتٌ على الجدرانِ لم تُقَشّرْها الأظافرُ
ولم يغسلها المطر:

١ ـ اختبئْ ياقطاراً يهرول في الحلم،
صوتك يخلع ريشَ النَّشاز الملون، يسقط بين
الصدى والصدى، وتُصنْفِرُهُ شَفَراتُ الأظافرِ،
يدخل أوركسترا الأسْرِ.
فلْتختبئْ ياقطاراً يهرولُ في الحلمِ،
فالأرض ُمكشوفةٌ والمحطات ُمفتوحةٌ تحت ضوء السفرْ
اختبئْ فالإقامة مأهولةٌ بوحوش القرابةِ
والألفةِ الناعمةْ

2 ـ جسد للعشيرة: أعضاؤه انْفَرَطَتْ
كالعناقيد في ورق الملصقاتِ ـ الأفيشات ـ وهْجِ
النيون المشاكسِ.
حطَّ الظلامْ:
فهل يَنْفِرُ النهد تحت الأكفّ ويَلْتمُّ رهْطُ العناق
الصريح وهل يفتح الليل مَضْيَفَةً للتخاصرِ
والجنس؟، هل تُفلتُ الشهقاتُ المقيمة في اللون، هلْ؟!

3 ـ تَنَفَّسَتْ حقائبُ الوطن، ياللّه،
هل يملك كلٌّ هذه الملابس الداخلية؟!
وبعثرها في الريح، فهل كل هذه الألوان من
شمس واحدة؟!

وغَربت الشمْسُ

فكلٌّ طريقٍ صباحٌ وكل صباحٍ طريقْ.

4 ـ العصافير تنسج أعشاشَها في

حديد الشبابيك والأرْفُفِ الخشبية في المكتبات

وفي الحافلات المليئة بالزَّحْمة الضاحكة

والعصافيُر تنسج أعشاشها تحت ليلٍ من

الشَّعَرِ المستعارِ وفي خُوَذِ الشهداء

وأحذية الهاربين.

5 ـ أسرعوا أسرعوا.. فالبلادُ القديمة

ركضتْ خلفكم، واكتبوا واكتبوا.. فالبلادُ القديمة

قطعتْ شجر الأبجدية.

6 ـ مَطْلَعٌ جاهليٌّ يجيءْ

تطلع الشمس في الذاكرة

تحت إيقاعه يَسْتَضيءْ

وطنٌ للخراب الطلوليّ،

نهرٌ تجرّرُه الصرخةُ الفائرة

7 ـ صخَبٌ، وبلادٌ تجلجل في حجر السمع،

والرعدُ يزرع أعضاءه..

انْتظروا.. تصهل الخيل في الأرْوِقَةْ

حلم:

هذه امرأةٌ تتغطّى بأوسمة العُرْي، قشٌّ

تطاولَ من إبطيْها، وحلْفاءُ شمسٍ بهيجةْ

ضربتْ قُبَّةً من خشونة أوراقها فوق

شمسِ الزَّبيبِ المقيمةِ في الفخذين الشهيين

هل هذه امرأةُ المرمر امرأةُ الصولجان؟

طيورُ الحجارة تَرْصفُ بيضَ السطوع الملّون،

يْنقُفُه البردُ والدفءُ، يفتح فيه الدهاليز:

هذي المدينةُ في الأفق مملكةٌ والرعيّةُ

يضربُها طائفُ الصرخةِ الهالعة

ـ : أتعرفني؟!

ـ: ربما:

فوق عينيك جرحٌ يذكّرني بمرايا الطفولة

والطيرانِ المفاجئ بين الذراعين والسقفِ.

ـ: ألمحُ تحت ثيابك سيفاً، فهل طالبٌ أنتَ

للثأر أم خارجٌ تستَردُّ البداهةَ والصيدَ في

غابة الدهشة الملكيةِ؟

ـ: أطلبُ بيتاً وعائلةً أستردُّ على خبزها شرفَ الإسْم،

أطلبُ بئرَ القبيلةِ.

ـ: هذي المدينةُ مُوْبوءَةٌ.. يترجّل وحشٌ جميلُ

التقاطيعِ مابين همهمة الفقهاء ودفءِ الفراش

المبلّل بالنومِ والموتِ، مابين وشْوَشَةِ القصر بالمخمل

المستريبِ وعَرّافَةِ الشهوة الجسديّةِ والإنتحارِ البطيءْ.

أنا ملكٌ، والمدينةُ تحتي تَلُفُّ عصائبَها، بين تاجي
وعرشيَ تَسَّاقَطُ الشمسُ داميةً، يخلق الليلُ
تحت هشاشتهِ حيوانَ الوسامة والرعبِ،
ألويةً للخفافيش، عرافةُ الصرخة المستجيرةِ
تتبعني للخلاءْ
تُؤامرُني وتُقايضُني؟
ـ: كيف؟
ـ: آخذُ سيفَكَ، خذْ صولجاني، وقلْ للجماهير:
قابلني الوحشُ يأكل صاحبكم فقطعت جناحيه،
مزّقْته قطعاً قطعاً.. فاختْفى..
سوف تلبسُ تاجى وتشهدُ مملكةً تتفصدُ أنهارُها
تحت رجليك، ترقدُ فوق سريري، وتفتح زوجي

خزائنها.. وأنا أتخَفّي، وتأخذني في عبيدكَ..

ـ: تعرفني؟!

ـ: ربما..

بين نهديْكِ نهرٌ يذكرني بالرحيل المفاجئ في

الفجر، أذكر بحراً وصحراءَ، في ركبتيْكِ ارتعادٌ يذكرني

بالأراجيح والنومِ، أذكرُ شمساً مُضَبَّبَةً في

خزائن فخذين ..

عيناي فتشتا عن بلاد السراويلِ والدفءِ ..

ها وطن يتيقَّظُ في الذاكرة

فمُدي الموائدَ واسْتَتري والبسي تحت عينيَّ أو سمةَ

العري، قشٌ الخليقة ممتلئٌ بالطيور الغريبةِ

والوحشِ، أروقةُ القصر واسعةٌ

(كنتُ أطلبُ بيتاً وعائلةً أستردُّ على

خبزها شرف الإسم..

ها أنتِ عاريةٌ تفتحين الصناديق

تعطينني من خزائن فخذيكِ مملكةً

تتطاول فيها السلالاتُ..

والصمتُ عائلةٌ تتماسكُ في كل ريحْ.)

ـ: أتعرفني؟

ـ: أنتِ.. هل تعرفين انسلاخ الظلام من البحر..

هل تعرفين انتقامي؟

خزائنُكِ الخُضْرُ مفتوحةٌ بين كفّيَّ..

هل تعرفينَ انتقامي؟

مملكة أخرى:

واسعةٌ خُطْوةُ الشمسِ، أوسَعُ منها غيومُ
القصائد في القلب، أوسعُ منها يدٌ وفمٌ يرفضان
رغيفَ المماليكِ..
والأرضُ واسعةٌ يتناسل فوق خرائطها عنكبوتُ
الأقاليم ينْفَرطُ الملكوتُ الملوَّنُ أسْيجَةً وبلاداً..
وأوْسعُ منها دمي ووضوئي المباغتُ في رجفة الجرح،
أوسع منها حصيرةُ نومي علي قبة الحلم..

مملكتي لاتزولُ إلى آخر الدهر،
مملكتي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ

ومملكتي شارعٌ ورصيفان تطلع بينهما
خطوة الرقص جُمّيْزةً للغداء الجماعي..

نكتبُ فوق الأكفَ مواعيدَنا، نتحسسُ
قارورةَ اللون والأرضُ تضحك ملءَ الفروع،
الأباريقُ تهوي مكسَّرةً في كتاب القوانين،
نكتبُ ناراً مُجَنَّحةً..

كلما غسلَ الموتُ أوجُهَنا اقترب الفجرُ..
هذا وضوءُ الكتابة،
نَصْطَفُّ في حضرة الحلم..

نكتب مملكةً للشوارع..

هذي الشوارعُ مملكةٌ يَتَبَطَّنُها الحلمُ

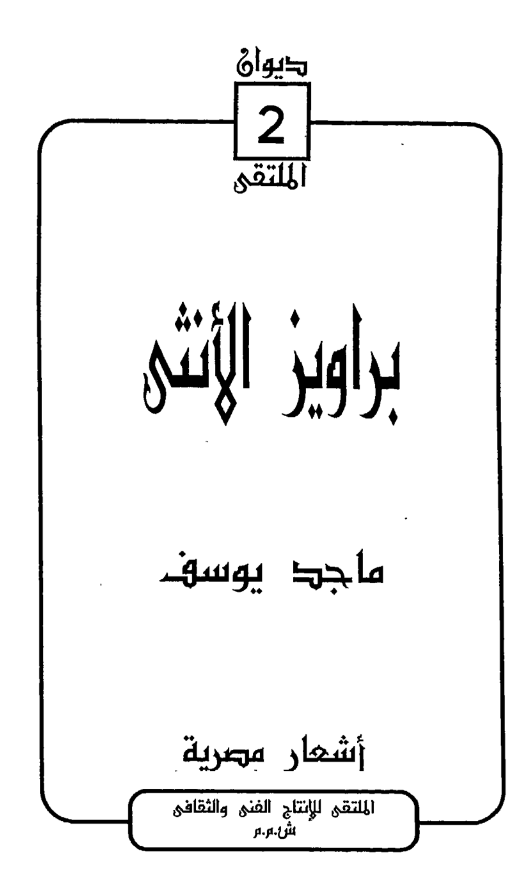
والرقصُ،

تَلْتَمُّ أصواتُها جسداً للقصائدِ

أزمنةً للجنون المبرْقشِ بالماءِ والشمس..

1974 / 7 / 4

الفهرس


ديوان
2
الملتقى
براويز الأنثى
ماجد يوسف
أشعار مصرية
الملتقى للإنتاج الفنى والثقافى
ش.م.م



الإصدارات القادمة

أولاً : كتاب الملتقى.

١ ـ موسوعة القرن الحادى والعشرين.

الدكتور / سمير والى .

٢ ـ رسائل النبى.

الأستاذ / مجدى الشهاوى.

ثانيا : الملتقى الأدبى .

١ ـ برديات.

الأستاذ / إسماعيل بهاء الدين.

٢ ـ المنيا ـ القاهرة .

الأستاذ / محمود سليمان.

ثالثا : ديوان الملتقى .

١ ـ الأعمال الكاملة.

الأستاذ / محمد عفيفى مطر.

٢ ـ هذه السيده.

الأستاذ / عزت الطيرى.

٣ ـ أمواج.

الأستاذ / أشرف العنانى.

٤ ـ الشروع فى البعث .

الأستاذ / عماد عبد المحسن.

الملتقى للإنتاج الفنى والثقافى
ش.م.م



الملتقى للإنتاج الفنى والثقافى
ش.م.م